

## "كان يوم أحد الرصاص مثل الشتي... ثم درب الجلجلة الحرب غلطة كبيرة وخدعة أكبر وخسارة للجميع"



"بوسطة" ١٣ نيسان ١٩٧٥.

التماس يوماً لم يتخطى أي من الفرقاء الخطوط التي رسمت منذ البداية فأين هي البطولة ان؟  
١٣ نيسان ١٩٧٥ محطة و...  
تاريخ لم يدخل كتب التاريخ المدرسية بعد. وفي المستقبل عندما ينوي احدهم سرد وقائعه فليأخذ في الاعتبار قول احدهم ان الحرب كانت "غلطة كبيرة وخدعة أكبر وخسارة للجميع!"  
موناليزا فريحة

خليل فمي "ان الحرب كانت خدعة كبيرة وقع ضحيتها الابرياء".  
كنا نسمعهم...  
يتذكر عصام بكداش اصوات المتقاتلين "كنا نسمعهم يتحدثون في الليل وعندما تصلهم الاوامر يبدأون القصف".  
رغم مرور ستة اعوام على انتهاء الحرب ما زال عصام يجهل تماماً "ماذا حققت هذه الحرب؟". فرغم عمليات الكر والفر التي كانت تشهدها خطوط

هجوم متوقع من الجهة الغربية فهرب السكان القاطنون على اطراف المنطقة الى الاحياء الداخلية، هكذا روى فؤاد رزق قصة مؤلمة - مضحكة من قصص تلك الايام، "فالجبر لم يكن إلا شائعة، والشائعات كانت احدى تقنيات الحرب".

### كذبة كبيرة!

وبعد (٢١ عاماً على اندلاع الحرب هل يعتبر اهالي عين الرمانة على شائعة هجرتهم واخرى انزلتهم الى الملاجئ، ما داموا يعتبرون الحرب نفسها كذبة كبيرة؟  
"عندما كنا نتساءل ما سبب الحرب والاقتيال يجيبوننا ان ثمة قضية يدافعون عنها، كل من وراء متراسه وبسلاحه الخاص. فليفضل احدهم وليقل لنا اين اصبحت هذه القضية وما هي المكاسب التي جناها ليوقف الحرب؟"  
هذا ما قاله عبود خطر الذي ما زال حتى اليوم يجهل اسباب هذه الحرب، مؤكداً انه "لا عرفنا كيف بلشت ولا كيف خلصت". فالحرب اللبنانية لم تكن حرباً متفرقة ولا حتى مدرسة هواة حيث الجميع يربح في النهاية، بل على العكس فالحرب انتهت بالتعادل السلبي لجميع الاطراف.



(من الارشيف - سام زمزمانية)

الشارع مقل بعد الحادثة.



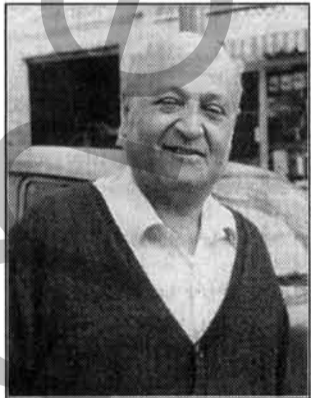
... وكما يبدو اليوم.



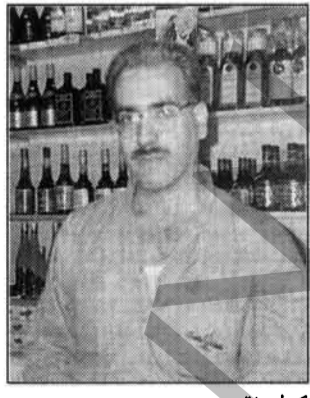
"سيّدة المرابية" ليتما كانت حاضرة.



عبود خطر.



جوزف بو حرب.



كميل رزق.



عصام بكداش.



الشياح لم تخلع عنها رداء الحرب بعد.

"كان يوم أحد، والساعة تقارب الاولى، اطلاق نار مثل الشتي ترد صداه في المنطقة وتلاه هدوء. كان هدوء ما بعد العاصفة التي وضعنا على درب الجلجلة".  
رغم الاصوات التي تنوعت ايقاعاتها طوال ١٧ عاماً، لم ينس جوزف بو صعب ازبج تلك الرشقات الخارية التي اضرت لهيب الحرب طوال اكثر من عقد ونصف عقد. وكثرت الاصوات في ما بعد وتنوعت لكن الصورة بقيت وحيدة وفريدة، وظلت في ذاكرة جوزف "مشهداً مروعا؛ حشود تخلقت هناك حولاً بقايا بوسطة صغيرة تتوسط امتداد شارع بيار الجميل وتنساب منها الدماء، اما في الداخل فاجساد مستلقية لا حياة فيها ولا روح".  
كان ذلك في ١٣ نيسان (١٩٧٥)، ومنذ ذلك اليوم لم تعرف عين الرمانة طعم الحياة الطبيعية. غيمة سوداء حجبت عنها الشمس طوال ١٧ عاماً. وحتى خلال المهدات المتقطعة بقيت قلقلة وحذرة كأنه كتب لها ان تتحمل مسؤولية تلك الحادثة لانها حصلت فيها.

حادثة البوسطة اطلقت الحرب فكان محور عين الرمانة - الشياح محطاتها الاولى و... الاخيرة. صحيح ان "الشرارة" اندلعت هناك ثم امتدت في كل الاتجاهات بسرعة البرق وكانها نفخت جمرها تحت رماح، لكن عين الرمانة نفسها كان لها حصة الاسد من الحريق فبقيت في قلب الاحداث حتى آخر يوم.

منذ اللحظة الاولى تغيرت معالم المنطقة. نقاط استراتيجية "قفزت" الى الواجهة تواكب الحدث وتحصن مواقع. خطوط تماس رسمت خريطة جديدة فصلت بين جيران الامس وحولهم "الامر الواقع" اعداء الساعة.  
محور عين الرمانة - الشياح الوليد الاول للحرب اللبنانية، شريانان في قلب واحد قطعت بينهما اسلاك شائكة وفصلت احياء على قياس الحرب.

عين الرمانة والشياح عانتا معا فشربتنا من الكأس نفسها طوال ١٧ عاماً.

"تلك الحادثة المشؤومة سممت الاجواء في عين الرمانة"، هذا ما قاله جوزف عبود الذي التقيناه في شارع "المرابية" الذي خلغ رداء الحرب وغير كل ما يذكر سكانه بتلك الحادثة.  
"سيّدة المرابية" تربعت على مدخل الشارع بعد الحادث، فهل كانت "السيدة" قادرة على منع ما حصل لو انها كانت حاضرة يومها؟  
اما "المرابية" قبالة التمثال فعادت تعكس الحياة في الشارع بعدما محت تلك الصورة البشعة، وكانت اول شاهد عليها.

سكان عين الرمانة يستعيدون بصعوبة ذكرى بداية الحرب، ليس لانها مرت من عندهم بل لانهم يريدون ان يطردوها من ذاكرتهم بعدما كلفتهم غالياً.  
"دفعتم ثمن الحرب ارواحاً عزيزة واصلحت منزلي اكثر من ثلاث مرات". يتألم طوني رزق الله ما ان يستعيد ذكرى تلك الايام، ويبدأ ناقماً كأن الحرب انتهت للتو: "أي فريق جنى من هذه الحرب سوى القتلى والدماء... أكيد، لا أحد".

الارتباط الوثيق الذي جمع عين الرمانة بمراحل الحرب وصار لها في "كل عرس قرص"، جعل المنطقة محطة وتاريخاً.

في ١٣ نيسان من كل عام تُقلّب عين الرمانة صفحات تاريخها الحافل بالذكريات الاليمية بدءاً بالمحطة الاولى، فتتجه اليها الانظار لاستعادة الصور القاتمة... اقله للعبرة!

### ذنبها الوحيد

"صحيح ان عين الرمانة كانت البداية لكن هذا لا يعني ان تتحمل مسؤولية ما حصل. فالحادثة كان ممكن تصير وبن ما كان"، على ما قال كميل رزق مدافعا عن منطقته: "ذنبها الوحيد انها كانت صلة وصل بين المخيمات آنذاك".  
سجل عين الرمانة لا يقتصر على حادثة "البوسطة"، فثمة ويلات ومصائب نزلت بها فحولتها كرة نار ملتهمه. حتى ان حرباً من نوع آخر كانت تجتاح المنطقة بين حين وآخر، فالشائعات التي اطلقها الاطراف المتحاربون مرارا زادت الاجواء توتراً وخلققت البلبلة لمن بقي فيها من اهلهما.  
"في أحد الايام سرت اخبار عن

اعوام مرت من عمر تلك المنطقة وهي تعاني الامرين، فصاروا ملعب لرياضات القناصة ومساحاتها محطات للقذائف على انواعها؛ "كنا نضي اسابيع في الملجأ من دون ان نعرف الليل من النهار"، على ما يتذكر نعيم عيد متمنيا ان "تتذكر وما تنعاد".  
في ١٣ نيسان ١٩٩٦ يتنقل الناس في الشوارع من دون خوف ولا تردد. شارع المرابية اليوم لا يشبه نفسه منذ (٢١ عاماً، بوسطات بالعشرات تتجول هناك ناقلة المواطنين المسلحين بايمانهم. سيارات بالمئات تقطع الشارع من دون ان تخفي لوحاتها كما حصل قبيل حادثة "البوسطة" في ذلك اليوم المشؤوم. الطرق سالكة في كل الاتجاهات، وحدها الحفريات حولت السير في بعض الشوارع.

### كما في السماء...

من عين الرمانة الى الشياح مسافة قصيرة لم يقطعها في الماضي الا طويل العمر. اما هذه الايام فالطريق عينها سالكة وأمنة للجميع.  
كما في عين الرمانة كذلك في الشياح، اسما ومخاطبات شاركت في الاحداث.

مصنع "رد شو" للاحذية تحول قفيرا لصانعي الحرب بعدما اجتذبهم موقعه الاستراتيجي وكبرياؤه فتحول المبنى برجاً يكشفون منه نقاط عدوهم الاستراتيجية.

رياض حسامي جار قديم للـ"رد شو"، يحاول استرجاع ملامح المنطقة في تلك الايام: "هون كان في منى من سبع طبقات هدمه المحاربون ليكشفوا المنطقة المقابلة". صحيح انه ترك المنطقة ايام الحرب، ولكن "كنا نأتي لتفقد املاكنا كل مدة فننتسّل الى هنا كالحرامية متخفين بين المباني ونلقني نظرة على ارزاقنا من بعيد لبعيد".

وحده العشب البري اخذ "راحتة" في تلك الايام وكسا المساحات فكان ايس القناصة في لياليهم الطويلة. امام مبنى "رد شو" ما زال العشب على طوله. بصمات الحرب واضحة على هيكل كان في الامس جبلاً لا يقهر، يكسو نوافذه الزجاج الاسود على ما يتذكر "ختيار" مر من هناك. لكن الحرب التي مرت في المنطقة فتتت الحجارة، فهل يقوى الزجاج على المقاومة؟

من الـ"رد شو" الى معمل "غندور" فـ"دار الكتاب اللبناني"... اسما ترددت على مسامعنا طوال اعوام وكان نكرها نذير شؤم ولو من غير قصد.

صحيح ان المباني اخلبت من القناصة والمحاربين على اشكالهم، لكن هؤلاء تركوا بصمات واضحة عليها. فالبناني ما زالت "مخرذقة" والجدران معلقة بين السماء والارض. قلة هي المساحات التي خلعت عنها رداء الحرب. وحدها محال تجارية فتحت ابوابها من جديد.

محمد خليل اصبح محله في الشياح ٢ مرات خلال الحرب وفي كل مرة كان يتعرض للسرقة والتخريب من جديد "هذه المنطقة كانت جهنم مفتوحة ويا ريت وصلنا لنتيجة"، اما النتيجة الوحيدة التي توصل اليها